جامعة منتوري قسنطينة
كلية الحقوق
قسم العلوم السياسية
مقياس نظرية العلاقات الدولية
الأستاذ يخلف

Michael Banks; The inter-paradigm debate; in Light & Groom, IR: a Handbook of Current Theory. (Frances Pinter, London, 1985).

منظورات العلاقات الدولية

مقارنة المنظورات:

1- الواقعية Realism.

2-التعددية Pluralism.

3- البنيوية Structuralism.

لمعرفة هذه المنظورات بعمق يجب اللجوء إلى كتابات باحثي كل منظور على حده. الملاحظ أن المنظورات الثلاث تبدأ من صورة قاعدية مختلفة:

- الواقعية: المجتمع الدولي يتمثل في نظام من"كرات البليارد" (Billiard-ball) أي دول في تصادم دائم.
- التعددية: المجتمع الدولي"شبكة" (Cobweb) من العلاقات المتداخلة.
- البنيوية: المجتمع الدولي" أخطبوط متعدد الرؤوس"(multi-headed octopus) و له خراطيم طويلة يمتص بواسطتها ثروات دول المحيط (peripheries).

كل مجموعة من المدافعين عن واحد من هذه المنظورات راحت تبني نظريتها. كل نظرية منسجمة مع ذاتها و لكن في نفس الوقت كل واحدة تناقض الآخريين، و تبدو هذه التناقضات أكثر في تحديد كل نظرية للعناصر الثلاث: الفاعلين، الديناميكيات، و المتغيرات التابعة actors/ dynamics/ dependent variables .

1-الفاعلون: بالنسبة لـــ:

- الواقعية: هم الدول.
- التعددية: الدول إضافة إلى مؤسسات أخرى كثيرة.
- البنيوية: هي الطبقات.

2- الديناميكيات:

- الواقعية: القوة كأساس.
- التعددية: الحركات الاجتماعية المعقدة.
- البنيوية: الاقتصاد.

3- المتغيرات التابعة:

- الواقعية: وظيفة العلاقات الدولية هي شرح سلوكات الدول.

– التعددية: وظيفة العلاقات الدولية هي شرح كل الأحداث الدولية الكبرى.

– البنيوية: وظيفة العلاقات الدولية هي شرح التناقضات بين الفقراء و الأغنياء.

من خلال هذه الاختلافات الجوهرية تنمو اختلافات أخرى، و من الأكيد أن لكل منظور نقاط قوة و نقاط ضعف. يختلف حكم كل منظور حول الأبعاد التي يجب أن تتكفل بها دراسة العلاقات الدولية.

– *حدود العلاقات الدولية:*

* الواقعية: تحدد العلاقات الدولية بنظرة ضيقة لا ترى سوى الدول مفضلة في كثير من الأحيان مصطلح" السياسة الدولية" (international politics).

* التعددية: توسع حدود العلاقات الدولية لتدخل فيها الشركات المتعددة الجنسية، الأسواق، الجماعات العرقية، القومية (nationalism) و كذلك سلوك الدول، و تسمي الاختصاص" العلاقات الدولية (IR) أو"المجتمع الدولي" (World Society).

* البنيوية: تمتلك أوسع حدود للاختصاص بتركيزها على وحدة النظام الدولي في كل مستوياته، و تركيزها على نماذج الإنتاج و اعتبارها للعلاقات السياسية بين الدول كظاهرة سطحية.

– *المصطلحات الخاصة بكل منظور:*

* الواقعية: الردع(deterrence) و الأحلاف (alliances).

* التعددية: العرقية (ethnicity) و الاعتماد المتبادل (interdependence).

* البنيوية: الاستغلال (exploitation) و التبعية (dependency).

هناك بعض المصطلحات التي تشترك فيها المنظورات الثلاثة و تستعملها بنفس المعنى مثل: القوة، السيادة، القانون.

هناك بعض المصطلحات تستعمل بطريقة مختلفة من منظور إلى آخر، مثل:

الإمبريالية، الدولة، الهيمنة (hegemony) نتيجة لهذا فإن أية مهمة لقراءة أدبيات العلاقات الدولية تبدأ من محاولة فهم استعمالاتها المتعددة لأن هناك من الباحثين من يأخذ مصطلحات من منظورات أخرى و هذا ما يفسر إلى حد ما غموض الكثير من الكتابات.

1– الواقعيـــــــــة: Realism.

باعتبارها أقدم منظور و الأوسع تقبلا بين الثلاثة فإن الواقعية حصلت على أكثر الأدبيات تطورا، و تعود جذورها إلى Thucydides (460-400 ق. م) ، Machiavelli (1469-1527)، Hobbes (1588-1679)، Clausewitz(1780-1831)، الذين أكدوا فكرة اللاأمن المفروضة على الدولة ذات السيادة، و بالتالي فإن سياسة القوة في العلاقات بين الدول تتسم بـــ:

1– أولوية السياسة الخارجية (primacy of foreign policy).

2– الدور المحوري للحرب (central role of war).

3 – الخصائص السياسية و غير الأخلاقية (amoral) للعلاقات الدولية.

استعملت هذه الأفكار من جديد لتلائم ظروف و أحداث القرن العشرين، و جاءت الكتابات لتعبر عن ذلك: Aron, Carr, Niebuhr, Herz, Lippmann, Bull, Morgenthau, Wight.

و استعملت مباشرة في تطوير الدراسات الإستراتيجية(Strategic studies).

عندما ظهرت السلوكية في الخمسينيات، اعتبرت بمثابة الرفض التام للواقعية، لكن بدا بعد ذلك أنها هجوم على مناهج بحثها فقط دون أن تتمكن من تعويض نظريتها العامة ثم أن كل الجهود السلوكية في مجال الدراسات الكمية (quantification) و"المحاكاة" (Simulation) و بناء النظرية (Theory- building) التي مارستها بين الخمسينيات و الستينيات انطلقت كلها من المسلمات الواقعية. لم تشهد الواقعية منافسة حقيقية إلا في السبعينيات مع ظهور نظرية التبعية (Dependency) و البنيوية (structuralism) و نظرية الاعتماد المتبادل (interdependence) و (التعددية pluralism).

جاء رد فعل الواقعية مع كتاب (B.J COHEN) (1) الذي أكد على التحليل السياسي (و ليس الاقتصادي) للإمبريالية، و (Robert Tucker) (2) الذي رفض فكرة توزيع العدالة(distributive justice) و (Hedley Bull) (3) الذي أكد على أهمية التدخل الفعال(Forcible intervention) و (Krasner) (4) الذي أعاد كتابة الاقتصاد السياسي بلون"تجاري–جديد" (new-mercantilist)، و كذلك(Gilpin) (5) الذي أكد على دور الحرب كمؤسسة للتغيير.

شكلت هذه المجموعة مع باحثين آخرين "الواقعية الجديدة" (NEO-REALISM) التي نشرت مجموعة من الكتابات في مجلة(International Organization) (vol 38, n2, 1984) وتنظيم ندوة شارك فيها(Gilpin, Ashley, Andrews, Kratochwil)، و لكن المشاركة الحقيقية في هذا التوجه جاءت من طرف(Kenneth Waltz) (6) الذي أصبح ينظر إليه كالوريث لـــ(Carr) و (Morgenthau) و كصاحب مصطلح"الواقعية البنيوية" (Structural realism). هذا يبين اتجاه (Waltz) في استعارة مصطلحات من منظورات أخرى و خاصة استيلائه على مصطلح " Structural" و استعماله في أغراض أخرى و هذا ليمنح وزنا علميا لأفكار(power-politics) و هي ميزان القوى و الهرمية (hierarchy).تم انتقاد كل هذا من طرف (Ruggie) (7) بطريقة جيدة.

يشترك الواقعيون مع المثاليين في منظور "الدولة كمركز" (state-centric paradigm) و لكن يختلفون معهم في الحلول المقدمة. ففي الوقت الذي يدعم فيه الواقعيون المذاهب المحافظة(conservative doctrines) التي تقول مثلا أن الدول القوية في النظام الدولي عليها أن تأخذ مسؤوليتها في الحفاظ على النظام العالمي (world order) مع كل ما يتضمنه هذا القرار من صعوبات و مخاطر، فإن المثاليين اختاروا المذاهب اللبرالية، و يرون أن الدولة يمكن أن تروض و يمكن للتغيير أن يحدث تدريجيا بواسطة طرق مثل نزع التسلح (disarmament)، الأمن الجماعي (Collection Security)، تقوية القانون(strengthened law)، اتخاذ قرارات ضد المعتدين(sanction) و كذلك إمكانية تكوين حكومة عالمية (World Government). كل هذه الأفكار تقوم على المبادىء التي يؤمن بها الواقعيون و هي: السيادة، القوة، الدبلوماسية.

يشير(Clark) (8) إلى أن المثالية التقليدية (traditional idealism) مثل التي نادى بها(Woodrow Wilson & Johns Hobson) قد كانت سببا رئيسيا في إحداث تغيرات كبيرة في ممارسة العلاقات الدولية و خاصة في النصف الأول من القرن العشرين، لكن و بداية من الأربعينيات بدأ يضعف تأثيرها مع الضغوطات المزدوجة من طرف الممارسة أي " الحرب الباردة/ الانفراج/ الحرب الباردة" و كذلك النظرية التي تمثلت في سيطرة الفكر الواقعي/المحافظ في العلاقات الدولية.

مع هذا ما زالت الكثير من الكتب تنشر ضمن المذهب التقليدي مثل Falk (9)، Claude (10)، Beitz (11)،

Johansen(12)، Wilson (13) ، و بعض أنصار البنيوية مثل Galtung (14) Thompson(15) ، يدخل ضمن هذه المجموعة أيضا بعض الكتاب المعياريين (normative) الذين تطرقوا إلى نزع التسلح (disarmament)، قوانين الحرب(The laws of war)، حقوق الإنسان(Human rights)، الحياد (Neutralism)، الإيكولوجيا الكلية(Global ecology)، المحافظة على السلم (peacekeeping)، و إعادة تشكيل الأمم المتحدة (UN reform) – تدعمت مجهودات هؤلاء بظهور جماعات ضاغطة مثقفة(intellectual pressure groups): مجهودات جماعات مختصة متكونة من أساتذة، سياسيين،و نشطاء(activists)،و قد رسموا طريقا لعالم أفضل و لكن دون أن يحدثوا نقلة في الجانب النظري. وجبت الإشارة هنا إلى تقريري(Brandt Report) (16) 1980و1983 و كذلك (Palme Report) (17) و مشروع نماذج النظام العالمي(The world order models project) الذي يترأسه (Mendlovitz) (18)، و مشاريع نادي روما(Club of Rome) و غيرها من المشاريع المعيارية التي أشار إليها (Nicholson) (19) و (Brucan) (20).

2- التعددية: The Pluralist paradigm.

إنها أحدث مقاربة و تسمى كذلك"المجتمع الدولي"(World Society) بحيث جاءت إلى الوجود في السبعينيات و بالرغم من أن بعض أتباعها يفضلون استعمال مصطلح " العلاقات الدولية" على "السياسة الدولية" إلا أنهم بقوا واقعيين، و المثال على ذلك (Keohane) (21) في دراسته للاقتصاد السياسي.

ترى" التعددية" أن العالم معقد جدا و تشير هذه القناعة إلى تواضع أتباعها عكس بعض الواقعيين و البنيويين و ثقتهم الكبيرة في كتاباتهم. تعتبر العالم "متعدد المراكز"(multi-centric) (و ليس state-centric أو global-centric) و تكمن جذورها في التخصصات الفرعية للعلاقات الدولية التي تجمعت كالروافد لتكون منظورا واحدا.

لقد كانت البداية مع اعتراف الكثير من كتاب الفكر المسيطر(mainstream) بالنقائص(anomalies) التي يحتويها المنظور الواقعي، و لهذا وجب إيجاد قناعات جديدة لشرح العلاقات و الأحداث الدولية. كانت فكرة" التكامل"(Integration) للباحث(Mitrany) (22) في المرحلة التقليدية و (Deutsch) في المرحلة السلوكية.

توالت "النقائص" بما في ذلك "سوء الإدراك " (Misperception) كما بينه (Jervis) (23) و غموض مصطلح "القوة" و كذلك تعقيدات صناعة السياسة (policy-making) بصفة عامة، كل هذه الأشياء شرحها (Vasquez) (24) جيدا.

– لقد أشار(Burton) و هو أكبر مساهم في المنظور الجديد في كتابه (Global conflict: the domestic sources of international crises, 1984) إلى أنه يمكن تفسير كل السياسات الخارجية بالرجوع إلى العوامل الداخلية (و هذا ما يعارض تماما الواقعية).

– (Peace research) البحوث السلمية أشارت إلى بعض النقائص أيضا في الواقعية و خاصة تعدد الأطراف في أي صراع، إضافة إلى أهمية العرقية(ethnicity) و هوية الجماعات (group identity) و تقرير مصير(self-determination) العناصر غير– الدول(non-state actors) التي تعتبر كمحركات أولى للأحداث الدولية.

– إن العناصر غير–الدول استعملت أيضا في الاقتصاد السياسي الدولي في كثير من كتابات السبعينيات التي جاءت لتدعم صفوف" التعددية". في هذا الصدد أشار(Keohan & Nye) (25) ، (Morse) (26) و آخرون إلى أهمية الشركات المتعددة الجنسية و كذلك الاعتماد المتبادل في المجالين التجاري و المالي.

ما ينقص" التعددية" هو جمع قوي لمبادئها و معرفة انعكاساتها السياسية بما يكفل لها مقارنة نفسها مع أعمال Carr، Morgenthau ، Waltz بالنسبة للواقعية من جهة و التأثير على الرأي في العلاقات الدولية بصفة عامة من جهة أخرى.

مع هذا هناك بعض الجهود المعتبرة من طرف بعض الباحثين أمثال(M.Banks) (27) و (Mansbach) (28) ، (Burton) (29) و بعض الدراسات المتخصصة الجديدة و المقنعة مثل دراسة (Axelrod) (30) حول منطق التعاون المأخوذ من نظرية اللعب و (Azar و آخرون) (31) حول بنية الصراع، و كذلك(Willetts) (32) حول الجماعات الضاغطة العابرة للحدود الوطنية (transnational).

3- البنيوية: Structuralism

البنيوية لا تشبه الواقعية و لا التعددية لأن نظريتها العامة ليست منتوجا أكاديميا للعلاقات الدولية و لكنها مثل الاتجاه المثالي و المحافظ في اعتماد مبدأ (State-centric realism) واقعية الدولة–المركز. إنها تستلهم أشياءها من تراث النظرية الكلاسيكية بما في ذلك الاهتمامات المسيحية و الإنسانية الأولى بقضايا العدالة و قدر الإنسان، فلسفة كانط الأخلاقية، جدلية هيجل، و المادية التاريخية لماركس، إنجلز و لينين.

– إن كل هذا يطرح مشكلا اليوم فيما يتعلق باختيار المصطلح الذي يعبر عن هذه المقاربة ككل: "الديالكتيكية (Dialectics)، الماركسية(Marxism)،" نظرية الطبقة الاجتماعية " (Social class theory)،"المادية التاريخية" (Historical materialism) و غيرها، ثم اختيار "البنيوية".

– لم تنل الخلفية الكلاسيكية للبنيوية حظها من الاهتمام في الدراسات الأكاديمية للعلاقات الدولية خلال القرن العشرين، فبمجرد ما استتب أمر العلاقات الدولية كتخصص جامعي، بدأ الأساتذة ينظرون إلى الأفكار البنيوية على أنها خاطئة مفرطة في المعيارية (normative)، أو سياسيا محرضة على التمرد(Subversive)، و لهذا نمت البنيوية على هامش التخصص عوض أن تكون في قلب الاتجاه السائد.

– إن أهمية هذا المنظور غير معرضة للشك و هذا ليس لأن الفكر الماركسي–اللينيني قد اعتمدته الدول الاشتراكية أو "دول ذات التوجه الاشتراكي"، و ليس لأن الكثير من الأحداث الدولية قد جاءت باسم الماركسية مثل الأحداث السياسية العنيفة (كالثورات أو الأعمال الإرهابية) أو الأحداث الدبلوماسية الراديكالية كالمطالبة" بالعدالة التوزيعية" (distributive justice) و بأنظمة جديدة (new orders) في حقلي الاقتصاد السياسي(political economy) و التدفق المعلوماتي(information flow)، بل تكمن أهمية البنيوية في قيمتها المعرفية لأن الكثير من الباحثين في العلوم الاجتماعية في كل دول العالم و في كل حقول المعرفة مدينون للماركسية ببعض المعارف سواء اعترفوا بذلك أو لم يعترفوا و منها: الربط بين علم الاقتصاد و علم السياسة، التضامن بين المستتر بين الجماعات التي تلتقي مصالحها الموضوعية تحت ظروف معينة، و النمو التدريجي لتغيرات تاريخية ردا على التطور التكنولوجي و التعبير عنه في شكل قوانين و إيديولوجيات و مؤسسات حكومية.

هناك اعتقاد سائد بأن مساهمة البنيوية محصورة في دراسة الإمبريالية و التبعية فقط، لكن الملاحظ أن هذا الاعتقاد غير صحيح و هو مرتبط بطريقة تطور اختصاص العلاقات الدولية و ليس للأهمية النسبية لهذين الموضوعين داخل البنيوية.

لقد بقيت نظرية الإمبريالية في زاوية مظلمة على هامش العلاقات الدولية لمدة نصف قرن من سيطرة التقليدية و السلوكية إلى أن خرجت من الظل على يد (Gathung) (33). أما نظرية التبعية فقد تم تطويرها في أمريكا اللاتينية و استطاعت أن تكون تحت الضوء بفضل بعض الباحثين الذين كانوا يعملون خارج المراكز الجامعية الغربية. كان بإمكان الباحثين في الاتجاه السائد إن يستفيدوا كثيرا من اهتمامات المدرسة البنيوية (بالإضافة إلى الإمبريالية و التبعية) و هذا باعتبار أن أهم مواضيع البحث البنيوي (طبيعة الدولة، الإيديولوجية، الصراع، و سيرورة التغير) هي مشاكل تطرح على المنظورات الأخرى كما تنبأت بذلك نظرية (Kuhn).

إن الأفكار البنيوية الشاملة حول النظرية العامة و المتعلقة بالمنهج، بنظرتها إلى تكون الطبقة و الصراع الطبقي، و تعاملها مع الإيديولوجية و النظرية الاجتماعية و تحليلها للتاريخ كلها أفكار حية و تخضع لتطور دائم.

لفهم عمق هذه المدرسة يجب الإطلاع على بعض المساهمات الأولى وصولا إلى النقاش الدائر داخل الماركسية الجديدة (Neo-Marxism)، ومن هذه المساهمات (Gramsci. / Althusser) الذين لعبوا دورا كبيرا في إثراء و توسيع المنظور.

الكثير من التطبيقات الخاصة للنظرية العامة على مشاكل العلاقات الدولية غير متوفرة باللغة الإنجليزية، و هناك العديد من محاولات التطبيق هذه التي قام بها بعض الباحثين من خارج المنظور ولكن لهم اهتمامات في الطريقة البنيوية، و منها (Ralph Pettman) (34) رغم أنه معقد، (Kubalkova & Crukshank) (35) و كذلك(Thorndike) (36)، لكن من أجل الاقتناع أكثر يجب الإطلاع على الكتابات التي تبين قناعات كبيرة في المنظور أثناء معالجتها لمشاكل العلاقات الدولية و منها الباحث الروماني(S.Brucan) (37) و دراسات (Skocpol) (38) حول الثورة و مساهمات (R.Cox) (39) القيمة و كذلك (Galtung) (40) في بحثه للجمع بين" البحث في السلم" (peace research)، و المثالية (Idealism) و العلوم الاجتماعية بطريقة جيدة، ثم (Thompson) (41) حول الحرب الباردة و التسلح و (Halliday) (42).

رغم توزع أفكارها، يبدو أن البنيوية تعد بالكثير في مجال تطوير العلاقات الدولية و بقدر ما يتطور النقاش بين المنظورات بقدر ما يخرج الباحثون من بحث الواقعية التقليدية، و عوض أن يضيع الوقت في البحث عن نماذج (Patterns) للصراع و التسوية فإن هذا النقاش فتح المجال أمام إمكانية دراسة الترابطات (Linkages) صعودا و نزولا في مستويات التحليل. سوف يكون بالإمكان، و هذا في مرحلة أولى، التعرف على و قياس العوامل التي تدفع ببعض المجتمعات لأن تكون عدوانية أو مسالمة في علاقتها الخارجية، أو إيجاد طرق للقضاء على الأسباب الحقيقية للإرهاب عوض التطرق للأعراض فقط، أو كيفية بناء مؤسسات من شأنها أن تخدم العدالة في المجتمع الدولي بطرق أخرى غير الصراع.

من هذه الزاوية يمكن أن ينظر للنقاش بين المنظورات (Inter-paradigm debate) على أنه اختلاف في اختيار أطر التحليل (analytic frameworks) و ليس مواجهة بين نظرتين للعالم متنافرتين، لأن البنيوية مهما تطرقت إلى قضايا مهمشة في العلاقات الدولية فإنها لا ترفض الواقعية بل تمر بجانبها لتبدأ في حوار منفصل مع موضوع الدراسة. لا يوجد أي تناقض ضروري بين النموذج الواقعي للتغيرات الكبرى في العتاد العسكري (Hardware)، و النموذج البنيوي لديناميكيات الصراع الذي أنتجه" باحثو السلم" (peace researchers) باعتبار أن المقاربة الأولى تهتم بمظاهر السطح، أما الثانية فتركز على الأسباب العميقة.

على الطلبة و الأساتذة الاختيار و المقارنة لأن النقاش بين المنظورات يحرص على الإثارة و يصنع الأمل لموضوع يصعب التعامل معه و هو تحليل العلاقات الدولية.